

مِنْ أَجْلِ ثَقَافَةِ شِيعِيَّةِ زَهْرَائِيَّةِ أَصِيلَةٍ مِنْ أَجْلِ نَهْضَةِ ثَقَافِيَّةِ حُسَيْنِيَّةِ زَهْرَائِيَّةِ مُتَحَضِّرَةٍ
مِنْ أَجْلِ وَعْغِي مَهْدَوِيٍّ زَهْرَائِيٍّ رَاقٍ

بِرَنَامَج

قُرْآنِهِم

عَبْدُ الْحَلِيمِ الْغَزِّي

منشورات موقع القمر

بَرْنَامَجُ قُرْآنُهُم

بَرْنَامَجُ تَلْفِزِيُونِي عَرَضَتُهُ قَنَاةُ الْقَمَرِ الْفَضَائِيَّةِ

وَبطَرِيقَةِ الْبَثِّ الْمُبَاشَرِ

الْحَلَقَةُ (4)

يَوْمَ السَّبْتِ

بِتَارِيخِ: 7 شَهْرِ رَمَضَانَ 1438 هـ

الْمُوَافَقِ: 2017/6/3 م

پا ز فراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَرْنَامَجْ قُرْآنُهُمْ

(سُورَةُ الْأَعْرَافِ - الْجُزْءُ الْأَوَّلُ)

قُرْآنُ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ"

سَيِّدِي يَا صَاحِبَ الْأَمْرِ قُرْآنُكُمْ نُورٌ

كَلَامُكُمْ نُورٌ... يَا نُورًا عَلَى نُورٍ...

يا زهراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُرْآنُ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فَقَطَّ وَفَقَطَّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ..

سَأَشْرَعُ مِنْ هَذِهِ الْحَلَقَةِ مِنْ بَرْنَامَجِنَا هَذَا فِي الْحَدِيثِ فِي بَيَانِ مَا أَسْتَطِيعُ بَيَانُهُ بِحَسَبِ مَا يَسْنَحُ بِهِ الْمَقَامِ مِمَّا جَاءَ فِي مِضَامِينِ سُورَةِ الْأَعْرَافِ.

مُلاحَظَاتٌ سَرِيعَةٌ قَبْلَ أَنْ أَبْدَأَ بِقِرَاءَةِ آيَاتِهَا وَالتَّوَقُّفِ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَاتِ الشَّرِيفَةِ:

الملاحظة الأولى:

مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنَ الْأَحَادِيثِ التَّفْسِيرِيَّةِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ الْعِصْمَةِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ يُمكنُنِي أَنْ أَصَنِّفُهُ عَلَى مَجْمُوعَتَيْنِ:

- المجموعة الأولى من الأحاديث هي الَّتِي تَنَاوَلَتْ مَنَهْجِيَّةَ التَّفْسِيرِ عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَهَذَا الْمَوْضُوعُ هُوَ الْأَهَمُّ فِي التَّفْسِيرِ، لِنِ اتِّنَاوَلُهُ فِي هَذِهِ الْحَلَقَاتِ، لَكِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى سَأَتَحَدَّثُ عَنْهُ وَبِتَفْصِيلٍ مُنَاسِبٍ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ مَلَفِّ الْكِتَابِ وَالْعِتْرَةِ، وَهُوَ بَرْنَامَجٌ مُفَصَّلٌ تَحْتَ عُنْوَانٍ: (خَاتَمَةُ الْمَلَفِّ) فَخَاتَمَةُ الْمَلَفِّ بَرْنَامَجٌ سَيَأْتِينَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الْأَيَّامِ.
- أَمَّا الْمَجْمُوعَةُ الثَّانِيَّةُ مِنَ الْأَحَادِيثِ التَّفْسِيرِيَّةِ، فَهِيَ الْأَحَادِيثُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي تَفْسِيرِ الْآيَاتِ وَهِيَ عَلَى نَحْوَيْنِ:
- مِنْهَا مَا جَاءَ بِشَكْلِ خَاصٍّ لآيَةٍ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ بِحَيْثُ لَا يُمكنُنَا أَنْ نَجْعَلَهُ قَاعِدَةً لِلتَّفْسِيرِ فِيمَا يَرْتَبِطُ بِآيَةٍ أُخْرَى.
- وَمِنْهَا مَا يُمكنُ أَنْ يَكُونَ قَاعِدَةً لِتَفْسِيرِ نَفْسِ الْآيَةِ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنْهَا هَذِهِ الرِّوَايَةُ وَلِتَفْسِيرِ آيَاتٍ أُخْرَى، وَهَذَا أَيْضاً سَيَدْخُلُ فِي ضَمَنِ دِرَاسَةِ مَنَهْجِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَالَّذِي سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي بَرْنَامَجِ (خَاتَمَةُ الْمَلَفِّ) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. هَذِهِ الْمُلَاحَظَةُ الْأُولَى.

أما الملاحظة الثانية:

ما يُطرح من مضامين في هذا البرنامج في تفسير آيات الكتاب الكريم محاولةً للاقتراب مما جاء في تفسير آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، يمكنني أن أقول: هو تفسير في مستوى العبارة، ولكن في بعض الأحيان قد أتجاوز العبارة إلى حد الإشارة، قد أتشبث بأذيال الإشارة، فالقرآن كما قال إمامنا الصادق: (نزل على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، أما العبارة فللعوام وأما الإشارة فللخواص وأما اللطائف فللأولياء وأما الحقائق فللأنبياء) ما نتمكّن منه ويتمكّن منه أمثالي، هو أن نخوض في عالم العبارة، قد أتلّمس في بعض الأحيان شيئاً من أطراف عالم الإشارة مستعيناً بحديثهم وبرواياتهم الشريفة.

الملاحظة الثالثة:

إذا رجعنا إلى جوامع الأحاديث التفسيرية التي بين أيدينا فإننا لن نجد روايات تُفسر كلّ آية من آيات الكتاب الكريم، لا يعني ذلك أن الأئمة لم يتحدثوا عن تلك الآيات التي لا نملك الآن أحاديث خاصة بخصوصها، بخصوص بيان مضمونها، لكن الأحاديث ضاعت، وجوامع الأحاديث التفسيرية تعرضت للتحريف المتعمد وللتصحيح غير المتعمد، فهل يعني هذا أننا لا نستطيع أن نتحدث عن بقية الآيات التي لم ترد روايتها بخصوصها؟ قد يتصور البعض ذلك، لكننا حين نتحدث عن منهجية وردت في أحاديث أهل البيت وعن قوانين وقواعد للتفسير، ثم نجد مجموعة كبيرة من الأحاديث هي بمثابة تطبيق علمي وعملي في تفسير الكتاب الكريم وفقاً لتلك المنهجية التي تحدثت عنها مجموعة الأحاديث التفسيرية التي تناولت المنهج والتي أشرت إليها قبل قليل، ووفقاً لمنهجية لحن القول، فإن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد بينوا لنا الكثير والكثير والكثير من مضامين القرآن في أدعيتهم الشريفة وفي زياراتهم وفي خطبهم وفي كلماتهم القصيرة والمطولة، فضلاً عن كم هائل من الأسئلة التي أجابوا عنها حينما كانت الشيعة تسأل عن معاني الآيات القرآنية الكريمة.

هذه أهم الملاحظات التي أردت الإشارة إليها قبل أن أشرع في بيان مضامين سورة الأعراف المباركة.

سورة الأعراف:

السورة تعني المسورة، حين نقول: هذه أرض مسورة، فهي أرض واضحة الحدود، وقد سيجت بسياج يسمى هذا السياج بالسور، فقل سورة البقرة، وقيل سورة آل عمران، هي قطعة من القرآن لها بدايتها ولها نهايتها، وتشتمل على منظومة من المعلومات والمعارف والمعطيات تكون قد نسجت في نظام هندسي معين جعل تحت هذا العنوان: (سورة البقرة)، (سورة آل عمران) وهكذا (سورة الأعراف) فالسورة من السور، والسورة هي المسورة، هي المسيجة، هي المحصنة، كما أن الحصن سور للمدينة أو للقلعة، فهذه سورة الأعراف.

أما الأعراف، فهو عنوان مأخوذ من داخل السورة الشريفة، إذا ما ذهبنا إلى الآية السادسة والأربعين وسيأتي الحديث عنها: ﴿وَبَيْنَهُمَا حَبَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾.

﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ تَسْمِيَةُ السُّورَةِ مِنْ هُنَا أُخِذَتْ، الْأَعْرَافُ مَنْزِلٌ وَمَوْقِفٌ مِنْ مَوَاقِفِ الْآخِرَةِ، وَمُصْطَلَحٌ وَعَنْوَانٌ لَهُ دَلَالَاتٌ عَدِيدَةٌ، يَأْتِي الْحَدِيثُ عَنْهُ حِينَمَا نَصَلُ إِلَى تِلْكَمُ الْآيَاتِ، فَعَنْوَانُ الْأَعْرَافِ مَأْخُودٌ مِنْ دَاخِلِ هَذِهِ السُّورَةِ.

فَإِذَا هَذِهِ الْمُسَوَّرَةُ نُزِيْدُ أَنْ نَدْخُلَ إِلَيْهَا، الْمُسَوَّرَةُ لِابْدَلِ لَهَا مِنْ بَابٍ، بَابُ الدَّخُولِ وَالْوُلُوجِ إِلَى هَذِهِ الْمُسَوَّرَةِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الْبَوَابَةُ الَّتِي مِنْ خِلَالِهَا نَدْخُلُ إِلَى مَسُورَاتِ الْقُرْآنِ، إِلَى سُورِ الْقُرْآنِ، لَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ الْمَعَانِي اللَّغَوِيَّةَ وَيَطْوُلُ بِنَا الْمَقَامِ.

فِي كَلِمَاتِ أَهْلِ بَيْتِ الْعَصْمَةِ: (البِسْمَلَةُ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هِيَ أَقْرَبُ إِلَى الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ مِنْ سَوَادِ الْعَيْنِ إِلَى بَيَاضِهَا) مَا الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ؟

قِطْعًا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَحَدَّثَ عَنْ كُلِّ التَّفَاصِيلِ فِي هَذَا الْوَقْتُ الضَّيِّقِ، هَذَا أَوَّلًا.

وِثَانِيًا: مَهْمَا عَلِمْتُ وَمَهْمَا تَدَبَّرْتُ وَمَهْمَا تَفَكَّرْتُ فَإِنَّ ذِهْنِي سَيَصِلُ إِلَى حَدٍّ مُعَيَّنٍ وَيَقِفُ، وَالْقُرْآنُ كَمَا وَصَفَهُ سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ: (ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ) وَذَاكَ الْبَاطِنُ الْعَمِيقُ لَنْ أَسْتَطِيعَ أَنْ أُوغِلَ فِيهِ، فَمَا أَمْتَلِكُهُ أَنَا وَأُمَثَالِي مِنَ الْوَسَائِلِ الْمَعْرِفِيَّةِ يَجْعَلُنَا نَتَحَرَّكَ عِنْدَ شَوَاطِئِ هَذَا الْعُمُقِ، نَحْنُ نُمَعِنُ النَّظَرَ إِلَى حَسَنِ ظَاهِرِهِ، وَإِلَى أَنْاقَةِ مَظْهَرِهِ، ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ، نَحْنُ نَتَحَرَّكَ فِي أَجْوَاءِ هَذِهِ الْأَنْاقَةِ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، ذَلِكَ الْعُمُقُ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَوَغَّلَ فِيهِ فَإِنَّا سَنَبْقَى نَعُومُ عِنْدَ الشَوَاطِئِ، كَمَا قُلْتُ قَبْلَ قَلِيلٍ: مَسْتَوَى هَذَا التَّفْسِيرِ هُوَ فِي جَوِّ الْعِبَارَةِ، قَدْ أَتَفَلَّتُ بَعْضَ الشَّيْءِ كِي أَمْسَكَ بِأَطْرَافِ أَهْدَابِ الْإِشَارَةِ.

فَالْبِسْمَلَةُ هِيَ الْبَوَابَةُ الَّتِي مِنْ خِلَالِهَا نَدْخُلُ إِلَى سُورَةِ الْأَعْرَافِ، الْبِسْمَلَةُ كَمَا قَالَتْ كَلِمَاتُهُمْ: (أَقْرَبُ إِلَى الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ مِنْ سَوَادِ الْعَيْنِ إِلَى بَيَاضِهَا) وَأَنَا هُنَا سَأَقْرِبُ هَذَا الْمَعْنَى بِمَثَالٍ: الدَّوْلَةُ الْقَوِيَّةُ الْعَظِيمَةُ تَخْتَارُ لِنَفْسِهَا شِعَارًا، قَدْ يَكُونُ مَكْتُوبًا، قَدْ يَكُونُ مَرْسُومًا، قَدْ يَكُونُ مَنْحُوتًا، تَخْتَارُ لِنَفْسِهَا شِعَارًا يَخْبِرُ عَنْ مَضْمُونِهَا، وَشَيْءٌ طَبِيعِي الدَّوْلُ الْقَوِيَّةُ الْمُتَمَكِّنَةُ سَتَخْتَارُ بَدَافِعَ مِنْ وَعِيهَا أَوْ بَدَافِعَ مِنْ لَا وَعِيَهَا سَتَخْتَارُ شِعَارًا وَرَمَزًا يَتَنَاسَبُ مَعَ قُوَّتِهَا وَعَظَمَتِهَا، فَحِينَمَا تَخْتَارُ دَوْلَةً مِنَ الدَّوْلِ شِعَارًا لَهَا، مَثَلًا: الصَّقْرُ، أَوْ النَّسْرُ، أَوْ الْأَسَدُ، أَوْ أَيُّ شِعَارٍ مِنَ الشُّعَارَاتِ، أَيُّ رَمَزٍ مِنَ الرَّمُوزِ الدَّالَّةِ عَلَى الْقُوَّةِ، بَعْدَ ذَلِكَ تَضَعُ هَذَا الشُّعَارَ عَلَى وَزَارَاتِهَا، عَلَى مَبَانِي سَفَارَاتِهَا، عَلَى كُتُبِهَا الرَّسْمِيَّةِ، عَلَى جَوَازَاتِ سَفَرِهَا، عَلَى الْوُثَائِقِ، عَلَى لَوَائِحِ الْقَوَانِينِ، فِي مَنَاسِبَاتِهَا الْوُطْنِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ، يَتَقَلَّدُونَهَا أَوْسَمَةً عَسْكَرِيَّةً، وَشَارَاتٍ مَدْنِيَّةً، إِلَى مَصَادِيقَ كَثِيرَةٍ فِي هَذَا الْاِتِّجَاهِ، وَهَذَا الْأَمْرُ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، أَنْتُمْ تَعْرِفُونَهُ، فَكُلُّ وَثِيقَةٍ رَسْمِيَّةٍ تُدْمَخُ بِهَذَا الشُّعَارِ أَوْ يُطَبَعُ عَلَيْهَا، وَكُلُّ بِنَايَةٍ أَوْ سَفَارَةٍ أَوْ مَوْسَسَةٍ بَلْ كُلُّ شَيْءٍ يَنْتَمِي إِلَى هَذِهِ الدَّوْلَةِ فَاتَحْتَهُ هَذَا الشُّعَارَ.

شِعَارُ اللَّهِ فِي قُرْآنِهِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الرَّمْزُ وَالشُّعَارُ الْأَقْرَبُ إِلَى الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ، فَمَا مِنْ مَسُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ، مَا مِنْ تَكْوِينٍ، السُّورَةُ الْقُرْآنِيَّةُ تَكْوِينٌ قُرْآنِيٌّ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، حِينَ نَقُولُ: (سُورَةُ الْأَعْرَافِ) هَذِهِ كَيُونُهُ قُرْآنِيَّةٌ مُحَدَّدَةٌ، بِدَايَتِهَا مِنْ هُنَا وَنَهَايَتِهَا إِلَى هُنَا، تَحْكُمُهَا هَنْدَسَةٌ بَلَاغِيَّةٌ وَنِظَامٌ عَدَدِيٌّ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَتَوَغَّلَ فِيهِ يُمْكِنُنَا أَنْ نَضَعَ أَيْدِيَنَا عَلَى بَعْضِ أَجْزَائِهِ أَوْ أَسْرَارِهِ، وَتَفَاصِيلُ مَا بَيْنَ الْبَلَاغَةِ

الأدبية والعُمق المعرفي، والمفردات والمصطلحات الدينية التي تربط هذه الأمة بالأمم السالفة، وترسم لنا خارطة الإسلام عبر سيرة الأنبياء، فالأنبياء كلهم دينهم الإسلام، ويظهر في كل مقطع زمني في حياة الأمم السالفة بحزمة من المعارف والقوانين والأحكام التي تتناسب مع زمانها ومكانها وأحوالها وشؤونها ومع المستويات العقلية لها، فإن الله يبعث أنبياءه إلى الأمم ويحاسبها إن كان الحاسب دنيوياً أو أخروياً على أساس مستوياتها العقلية، (إِنَّمَا يَدَاقُ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ) هذا الأمر يجري على المستوى الفردي الشخصي، وعلى المستوى الأممي الاجتماعي، وحتى على المستوى العالمي.

حينما جاءت الديانة الخاتمة كان النظر إلى المستوى العقلي العالمي، وحينما كانت الغيبة المهدوية كان النظر إلى المستوى العقلي العالمي، وحينما تحين لحظة الظهور الشريف فإن النظر الإلهي متوجه إلى العقل العالمي، (إِنَّمَا يَدَاقُ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ) هذا القانون يجري على الفرد، ويجري على الأسرة التي هي لبنه المجتمع، ويجري على المجتمع الصغير، على القبيلة وغيرها، وبالمجموع تتشكل المجتمعات الكبيرة ويجري على المجتمعات الكبيرة التي بمجموعها تشكل العالم الأرضي البشري، لا أريد أن أتشعب في هذه الجهة فإن الكلام سيطول ويطول.

لكنني أعود إلى البسملة التي هي شعار ورمز، وهذا الشعار والرمز يكون بوابة من خلال هذه البوابة ندخل إلى هذه المسورة، ومن هنا ورد في أحكامنا الشرعية أننا حين نقرأ البسملة في الصلاة والتي هي جزء من السورة، بل هي الآية الأولى من كل سورة، لذا تلاحظوني في أكثر الأحيان حين أذكر أرقام الآيات أقول: الآية الثالثة بعد البسملة، لأن الترتيم في المصحف الذي عندنا بين أيدينا الذي تملكه الأمة الآن الترتيم فيه يبدأ بعد البسملة، وأصحاب هذا القرآن محمد وآل محمد يعدون البسملة آية من كل سورة، لذا حين أذكر الأرقام في كثير من الأحيان أقول: الآية الخامسة بعد البسملة، لأن المصاحف التي بين أيدينا ما عدت البسملة آية من الآيات، في أحكامنا الشرعية حين نقرأ سور القرآن في الصلاة علينا أن نخصص البسملة لآية سورة، كبرت تكبيرة الإحرام فعلي أن أشخص أن البسملة هذه التي سأقرأها هي بسملة الفاتحة، وإلا فمن دون تشخيصها هذه البسملة سوف لن تكون آية من سورة الفاتحة، وإنما هي ذكر مطلق، وهكذا في السورة التي سوف أقرأها بعد الفاتحة فإنني أريد أن أقرأ سورة القدر مثلاً، فلا بد أن أشخص البسملة التي سأقرأها بعد أن أكملت سورة الفاتحة أن البسملة هذه هي بسملة سورة القدر، إن لم أشخصها بالنية هكذا، فإنني سأقرأ بسملة لا علاقة لها بسورة القدر، وسأقرأ سورة القدر ناقصة من دون بسملة، أنا لا أريد أن أدقق معكم كثيراً في هذه الجزئيات.

ولكن هذه الأحكام إلى أي شيء تشير؟

هذه الأحكام تشير إلى أن البسملة في أول كل سورة هي بوابة خاصة بتلك السورة، وليست القضية هكذا لأجل البركة مثلاً كما يتصور البعض، في القرآن أسرار قد لا نتلمسها ولكننا نتلمس الإشارة إليها من خلال بياناتهم صلوات الله عليهم، قد لا أتلمس هذه الحقيقة وأنا أتلو القرآن، فإنني حين أقرأ: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** قبل سورة الأعراف، وأقرأ: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** قبل سورة يوسف، لا أتلمس فرقاً في ذلك،

لكن من خلال الإشارات ومن خلال البيّنات التي نجدها في كلمات أهل بيت العصمة وهم يُحدّثوننا عن القرآن تتجلى هذه الحقائق.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ شعار، رمز، إشارة لأي شيء؟ إنها تُشير إلى الاسم الأعظم، (هي أقرب إلى الاسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها) إنها تُشير إلى الاسم الأعظم، الاسم الأعظم الذي تجلّت منه الأسماء الحسنی التي هي السبب في كلّ شيء حولنا، السبب في وجودنا، والسبب في كلّ شيء حولنا، فما من شيء في هذا الوجود إلّا ومنابعه الأصلية الأسماء الحسنی، والأسماء الحسنی تجلّت من الاسم الأعظم الأعظم الذي خلقه فاستقرّ في ظله فلا يخرج منه إلى غيره، هذه المضامين واضحة في الآيات، في الأدعية، في الزيارات، في الروايات، (فَمَا رَأَيْتُ شَيْئًا إِلَّا وَرَأَيْتُ اللَّهَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ وَمَعَهُ وَفِيهِ) هذه اللفظة لفظ الجلالة تُشير إلى الاسم الأعظم الأعظم، هذه لفظة، اسم الله ما هو بلفظة، اسم الله مخلوق، اللفظة مخلوقة ولكنها في أدنى مراتب الخلق، أعلى مراتب الخلق هو الاسم الأعظم الأعظم الذي خلقه فاستقرّ في ظله، فلعظمته فلا يخرج منه إلى غيره، ذلك هو اسم الله، أمّا هذه الألفاظ فهي إشارات تُشير إلى اسم الله، (فَمَا رَأَيْتُ شَيْئًا إِلَّا وَرَأَيْتُ اللَّهَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ وَمَعَهُ وَفِيهِ) البسملة قبل السورة تُشير إلى هذا المضمون.

فالبسملة أقرب إلى الاسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها، والاسم الأعظم برموزه وإشاراته مُنتشر في القرآن من أوله إلى آخره، فالاسم الأعظم تُشير البسملة إلى وجوده قبل هذه المسورة وبعد هذه المسورة ومع هذه المسورة وفي هذه المسورة، ومرادي من المسورة هنا: كينونة هذه السورة، كينونة سورة الأعراف.

بعد البسملة ما الذي يأتي؟ بحسب المصحف الذي نعرفه، الذي نتلو فيه قرآن محمد وآل محمد: ﴿المص﴾، ﴿المص﴾ هذه الرموز ورد في رواياتنا هي الأخرى لها علاقة بالاسم الأعظم، بشكل موجز وسريع أيضاً أقف عند هذا الرمز: ﴿المص﴾ ما يُصطلح عليه في الثقافة القرآنية بالحروف المقطّعات.

في الكتاب الكريم هناك تسعة وعشرون سورة من السور القرآنية ابتدأت بالحروف المقطّعة:

هناك ثلاث سور في القرآن فقط بدأت بحرف واحد، هي: سورة ص بدأت بحرف (ص) وسورة ق بدأت بحرف (ق) وكذلك سورة ن والقلم، فهناك سور بدأت بحرف واحد، سورة بدأت بحرف (ص) وسُميت بسورة ص، وسورة بدأت بحرف (ق) وسُميت بسورة ق، وسورة بدأت بحرف (ن).

وسور في القرآن بدأت بحرفين: (طه) سورة واحدة، (طس) سورة واحدة، (يس) سورة واحدة، (حم) هناك مجموعة من السور القرآنية تُسمى بالحواميم وهي سبع سور تبدأ بهذا التقطيع الحرفي: (حم).

هناك سور بدأت بثلاثة أحرف: (الم) هناك ست سور تبدأ بهذا التقطيع، (الر) هناك خمس سور تبدأ بهذا التقطيع، (طسم) هناك سورتان تبدآن بهذا التقطيع.

عندنا سورتان تبدآن بأربعة أحرف: أحدهما هذه السورة [سورة الأعراف] تبدأ: (المص) وكذلك سورة الرعد تبدأ: (المري).

وعندنا سورتان تبدآن بخمسة أحرف: سورة مريم (كهيعص) وسورة الشورى (حم عسق).

فهذه السورة سورة الأعراف هي أحد السور الأربعة التي ابتدأت بمطولات الحروف المقطعة، أربعة أحرف: (المص) والرعد: (المر) خمسة أحرف في مريم: (كهيعص) وفي الشورى: (حم عسق).

قطعاً هناك تناسق بين هذه المقطعات من الحروف، وأنا هنا لا أريد أن أتحدث عن كل صغيرة وكبيرة، لكن ونحن نقف عند هذا التقطيع القرآني في أوائل سورة الأعراف بعد البسملة: ﴿المص﴾ بنحو عام هذه الحروف المقطعة إن كان في سورة الأعراف أو في بقية السور، ما دلالتها؟

إن كنت أتحدث عن تلك الجهة العميقة التي أشار إليها أمير المؤمنين: (القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق) فإنني لا أعرف شيئاً عن ذلك، أتلمس معنى إجمالياً من كلماتهم الشريفة أن هذه الحروف هي خزانة أسرار القرآن، هذه رموز، لا أعرفها أنا ولا يعرفها غيري، هذه رموز.

الحكمة من وضعها في الكتاب الكريم واضحة، فالأمة يريدون من أن نعي هذه الحقيقة: (القرآن لا يفهمه إلا من خوطب به) هذه حقيقة آل محمد يريدون من أن نعيها، بينها رسول الله صلى الله عليه وآله بأسلوب الأمة أعرضت عنه في حديث الثقلين حين قرن بين مسبتيه صلى الله عليه وآله وقال: (أقول هكذا - وهو يتحدث عن الكتاب والعتره - قال: أقول هكذا ولا أقول هكذا) بيان واضح من سيد الأنبياء لكن الأمة أعرضت، الشيعة والسنة كما يسمون على حد سواء، السنة أعرضوا عن هذه الحقيقة بحسب ما أعرضوا، والشيعة أيضاً أعرضوا عن هذه الحقيقة بحسب ما أعرضوا، كل مجموعة أعرضت بأسلوبها وبحسبها.

هذه الرموز تصك كل عقول المفسرين، يقفون عندها حيرى، (إذا كان هذا القرآن أنزل للأمة كي تفهم الأمة حقائقه، لماذا هذه الرموز؟ هل الأمة قادرة على فهم القرآن؟ ما معنى هذه الرموز؟) يتخبط المفسرون من السنة والشيعة، (ما معنى هذه الرموز؟ هذه الرموز جزء من القرآن أو لا؟) حينما تأتي الأمة وتريد أن تفهم القرآن إنها لا تفهم هذه الرموز، هذا يعني أنها ما فهمت كل القرآن، هذا على فرض أنها فهمت الباقي، فإذا لم تفهم كل المعطيات، سيكون فهمها ناقصاً، هذا على فرض أنها فهمت تمام المعطيات الأخرى، لكن هناك يقين أن الأمة لا تعرف دلالة هذه الرموز وإن قالوا ما قالوا.

آل محمد حدثونا عنها، ولكنهم حدثونا حديثاً يقرب الفكرة إلى عقلي وعقولكم، آتيكم بأمثلة مما قالوه ولكن الحقيقة وراء ذلك، الحقيقة وراء ذلك.

من يمتلك ذوقاً في النغم الصوتي للحروف وللألفاظ فحينما يقرأ أو حينما يستمع أو يسمع: ﴿المص﴾ هذه التراكيب الصوتية إذا كانت صادرة من مصدر حكيم، إذا كانت صادرة من مصدر عليم، هل يمكن أن تفهم بهذا الفهم الساذج الذي يطرح في كتب التفسير؟! وأنا هنا لا أريد أن أذكر ما قاله المفسرون من السنة والشيعة، فقط أمر على نماذج من كلمات المعصومين التي حدثتنا وفقاً لقانون (المدارة) ومع أن هذه الأحاديث جاءت وفقاً لقانون المدارة، لكن الإنسان بإمكانه أن يستشف من خلالها أننا أمام خزانة من الأسرار لا نعرف أولها ولا نستطيع أن ننظر إلى آخرها.

حينما نقرأ مثلاً، هذا هو الجزء الثالث من تفسير البرهان/ منشورات مؤسسة الأعلمي/ الصفحة 133/ الرواية الأولى عن إمامنا الصادق في معنى ﴿المص﴾ التي جاءت في سورة الأعراف: قَالَ: ﴿المص﴾ مَعْنَاهُ: أَنَا الله الْمُقْتَدِرُ الصَّادِق -إذا كان الله يُريدُ أن يقول هذا- فبالإمكان أن يقول هذا مثلما قال: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ولكن كما قال إمامنا الصادق: مَعْنَاهُ.

﴿المص﴾ فهل هي لفظة كبقية ألفاظ اللغة يكون لها معنى واشتقاقات؟ إنها رمز، الإمام هنا يتحدث عن معنى الرمز، والرمز ما هو لفظ يدل على معناه بحسب السياقات اللغوية، حين نقرأ ﴿المص﴾ لُغَةً، لا نستطيع أن نتحسس هذا المعنى: (أَنَا الله الْمُقْتَدِرُ الصَّادِق) الإمام قال: معناه، هذه إشارة، هذه رمزية واضحة ﴿المص﴾ وهكذا بقية الحروف المقطعة وردت روايات وأحاديث تبين معناها بنفس هذا التعبير، بنفس هذا الأسلوب.

وجاء في خطبة البيان المعروفة والتي تنقل عن سيد الأوصياء، هذا هو إلزام الناصب/ الجزء الثاني في إثبات الحجة الغائب/ في الصفحة 218/ وهذه الطبعة منشورات دار التوحيد/ بيروت/ أمير المؤمنين وهو يعدد جانباً من مقاماته ومن أوصافه وحالاته وعلاماته فيقول في جملة ما قاله، مثلما قال: (أَنَا النَّبِيُّ الْعَظِيمُ، أَنَا الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ -ماذا قال؟- قَالَ: أَنَا كَهَيْعِص) وهذا ينطبق على سائر الحروف المقطعة الأخرى.

مثلما قال: (أَنَا كَهَيْعِص) فصاد هذه موجودة هنا في سورة الأعراف، والكلام في أجواء الرمز والإشارة، ﴿المص﴾ مثلما مرت الرواية عن صادق العترة: (أَنَا الله الْمُقْتَدِرُ الصَّادِق) نفس المضمون الذي قاله سيد الأوصياء: (أَنَا كَهَيْعِص) يمكن أن يقال هو هو أن علياً هو ﴿المص﴾ مثلما علي (كهيعص) مثلما قال: (أنا يس) مثلما هو (يس) مثلما هو (كهيعص) هو كذلك (المص).

وحتى في البعد الحرفي، وهذا البعد بعد سطحي جداً، أن هذه الحروف إذا ما جمعت وأعتقد أن الكثيرين قد قرأوا ذلك، سمعوا بذلك، هذه الحروف الكثيرون من شيعة أهل البيت ممن يتواصلون مع القرآن الكريم في أجواء ثقافة آل محمد، هذه الحروف المقطعة إذا ما حذفنا المتشابهات المتكررات، الحروف الباقية يمكن أن تتشكل منها جملة: (صراط علي حق مُسَكِّه) هذا في الجو السطحي، أنا هنا لا أتحدث في بيان معنى ﴿المص﴾ في هذا الحد السطحي، وإنما أشير إلى ما جاء في كلماتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، على سبيل المثال:

مثلما جاء في خطبة البيان وأنَّ الأمير صلوات الله وسلامه عليه يقول: (أَنَا كَهَيْعِص) جاء عن إمام زماننا: (كَافَ كَرَبْلَاءَ، وَهَاءَ هَلَاكَ الْعِتْرَةِ، وَيَاءَ يَزِيدَ ظَالِمِ الْحُسَيْنِ، وَعَيْنَ عَطَشِ الْحُسَيْنِ، وَصَادَ صَبْرِ الْحُسَيْنِ) وتلك إشارة إلى جانب من مضمونها.

إذا كانت هذه الإشارات والرموز مرة تأتي بهذا العنوان: (أَنَا الله الْمُقْتَدِرُ الصَّادِق) ومرة تأتي تُشير إلى حقيقة علي صلوات الله وسلامه عليه، ومرة تأتي تتحدث عن حسين، وأخرى تتحدث عن إمام زماننا.

فحين نذهب إلى بداية سورة الشورى: ﴿حَم * عسق﴾ ماذا جاء في تفسير القمي؟ أنا أقرأ من تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني/ المجلد السابع/ منشورات الأعلمي/ بيروت/ لبنان/ الصفحة 64/ الرواية الأولى/ عن تفسير القمي علي بن إبراهيم: ﴿حَم * عسق﴾ هُوَ حَرْفٌ مِنْ اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ الْمَقْطُوعِ - من اسم الله الأعظم المقطوع؛ هذا ظهور لفظي من ظهورات الاسم الأعظم، وإلا فالاسم الأعظم ليس مقطوعاً في حقيقته، هُوَ مُتَّصِلٌ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، (الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ) ما هو بمقطوع، تلك حقيقة الاسم الأعظم، الحديث هنا عن الألفاظ - هُوَ حَرْفٌ مِنْ اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ الْمَقْطُوعِ يُؤَلِّفُهُ الرَّسُولُ وَالْإِمَامُ، هذه جهة من الجهات الرمزية.

رواية ثانية، عن إمامنا الصادق، يُحَدِّثُنَا يَحْيَى بْنُ مَيْسَرَةَ الْخَثْعَمِي، يَقُولُ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ - سَمِعَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ - ﴿حَم * عسق﴾ عَدَدُ سِنِي الْقَائِمِ، عَدَدُ سِنِي الْقَائِمِ هَلِ الْمَرَادُ مِنَ الْوَلَادَةِ إِلَى نِهَايَةِ عَصْرِهِ؟ أَمْ الْمَرَادُ زَمَانُ دَوْلَتِهِ وَحُكْمِهِ؟ ﴿حَم * عسق﴾ عَدَدُ سِنِي الْقَائِمِ - الَّذِي يَبْدُو أَنَّ الْمَرَادَ زَمَانُ دَوْلَتِهِ وَحُكْمِهِ - وَ(ق) جَبَلٌ مُحِيطٌ بِالدُّنْيَا مِنْ زُمْرِدٍ أَخْضَرٍ وَخَضِرَةُ السَّمَاءِ مِنْ ذَلِكَ الْجَبَلِ وَعِلْمُ كُلِّ شَيْءٍ فِي (عسق) عِلْمُ كُلِّ شَيْءٍ، هذه الخزانة التي أشرت إليها أَنَّ هذه الحروف هي شفرة ورمز لخزانة نحن لا ندري أين هي، نعم نحن نُشِيرُ إِلَيْهَا، هذه الخزانة في حقيقتها المعصوم صلوات الله وسلامه عليه.

هذه الخزانة هي التي تحدّثت عنها سورة (يس) في الآية الثانية بعد العاشرة: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ هذه الخزانة، هذه الخزانة المطلقة، وهذه رموز ومفاتيح: (وَعِلْمُ كُلِّ شَيْءٍ فِي عسق).

رواية أخرى عن إمامنا الباقر هي الرواية الرابعة والتي نقلها السيد هاشم البحراني عن تأويل الآيات للمحدّث النجفي الاسترآبادي: (حَم) حَتْمٌ، وَ(ع) عَذَابٌ، وَ(س) سُنُونُ كَسْنِي يَوْسُفَ، وَ(ق) قَذْفٌ وَخَسْفٌ وَمَسْخٌ وَمَرٌ عَلَيْنَا (ع) فِي (كهيعص) عطشُ الْحُسَيْنِ، وَمَرٌ عَلَيْنَا (ق) فِي (عسق) جَبَلٌ مُحِيطٌ بِالدُّنْيَا (حَم) حَتْمٌ، وَ(ع) عَذَابٌ، وَ(س) سُنُونُ كَسْنِي يَوْسُفَ، وَ(ق) قَذْفٌ وَخَسْفٌ وَمَسْخٌ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّفْيَانِيِّ وَأَصْحَابِهِ، إلى آخر الرواية.

ماذا تلاحظون؟ رموز، ورموز، ورموز، وإشارات، ألسنتُ مُحَقِّقاً حين قُلْتُ إِنَّني لا أعرفُ حقيقتها؟ هذه الروايات وغيرها كثير، المقام ليس للتبّع والاستقصاء، إِنَّني أوردتُ أمثلةً من كلماتهم ومن أحاديثهم.

ومثلما أَنَّنَا لا نَعْرِفُ شَيْئاً عَنْ ﴿المص﴾ عن حروف، فَإِنَّنَا لا نَعْرِفُ شَيْئاً مِنْ حَقِيقَةِ الْقُرْآنِ، هذه المنظومة البلاغية والمعرفية الهائلة، ظاهراً أنيق، باطنها عميق، كما يقول علي، وبأيِّ حسابٍ تُرِيدُ أَنْ تَرِنَ هَذَا الْكَلَامَ؟ أَقَلُّ مَسْتَوًى يُمْكِنُ أَنْ أَتَصَوَّرَ فِيهِ عَلِيّاً صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ هُوَ خَيْرٌ بِهَذَا الْكِتَابِ، هَلِ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ حَتَّى مِنْ أَعْدَائِهِ أَنْ يَتَصَوَّرَ فِيهِ شَيْئاً دُونَ ذَلِكَ؟! حَتَّى مِنْ أَعْدَائِهِ، دَعَوْنَا مِنْ كُلِّ أَوْصَافٍ عَلِيٍّ، وَلَكِنْ عَلِيٌّ خَيْرٌ بِهَذَا الْكِتَابِ أَوْ لَيْسَ خَيْرٌ؟ إِنَّهُ أَخْبَرَ الْخُبْرَاءَ، بَعِيداً بَعِيداً بَعِيداً عَنْ كُلِّ مَقَامَاتِهِ، بَعِيداً عَنِ الْكُنْهَةِ الْغَيْبِيَّةِ لِعَلِيٍّ، بَعِيداً عَنْ كُلِّ الْمَعَانِي، عَلِيٌّ ذَاكَ الْمُنْطِقُ صَاحِبُ الْبَيَانِ الْبَلِيغِ كَلِمَاتُهُ بَيْنَ أَيْدِينَا، بَيَانُهُ يَخْبِرُنَا أَنَّ عَلِيّاً

هو أخبر الخُبراء بالبلاغة والفصاحة، فلو جعلتُ القرآن بناءً أدبياً بليغاً فقط عند هذا الحد، وجعلتُ علياً خبيراً هو أخبر الخُبراء في البلاغة والفصاحة، والأدلة موجودة.

ابن نباتة المصري خطيبٌ معروف، وخطيبٌ كان مُميّزاً بين الخطباء في زمانه، ويأتي كلُّ يومٍ بجديد، فحين سألوهُ من أين كلُّ هذا الإبداع؟ قال: (لقد حَفَظْتُ من خُطَب الأَنْزَعِ البَطِينِ سَبْعِينَ خُطْبَةً، ففاضتُ ثُمَّ فَاضتُ ثُمَّ فَاضتُ) كلُّ هذا وأنا أَتحدَّثُ في الأفق السطحي، فلو أخذنا القرآن بهذا اللِّحَازِ: (بناءً أدبي ولفظاً بلاغي) وأخذنا كلام عليّ بهذا التَّصوُّر: (هو خيرٌ بهذا الكتاب) فقال لنا: (ظَاهِرُهُ أُنِيقُ وَبَاطِنُهُ عَمِيقُ) ونظرنا إلى عُمقِ مضمونِ عليٍّ من خلالِ كلامِهِ بعيداً عن الغيب، إِنَّا لا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَلَمَّسَ عُمقَ القرآنِ حينئذٍ حتَّى في هذا المستوى، فما بالكِ وعليّ الَّذي هو عليّ يقولُ عنه: (باطنُهُ عَمِيقُ) فَأَنَّى لي ولغيري، أَنِّي لَأُمَثِّلُنا أَنْ نغور في ذلك العُمقِ، (القرآنُ لا يفهمُهُ -يا أشياع عليّ- إِلَّا من خُوطَبَ بِهِ) ولذا لا يوجَدُ طريقٌ آخر إذا أردنا أَنْ نفهم القرآن بشكلٍ صحيحٍ إِلَّا هُمْ.

هؤلاء مخدوعون وخدعوكم الَّذِينَ فَسَّرُوا لكم وكتبوا لكم التفاسير، وينقلون لكم التفسير على المنابر من الفخر الرازي، ومن سَيِّدِ قُطْبٍ، ومن كلِّ أحدٍ، وَيَعْرِضُونَ عن حديثِ آلِ مُحَمَّدٍ، القضية واضحة، واضحة وصريحة.

هذه سورة الأعراف، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ الأعرافَ هذا العنوان هو من أسماء آلِ مُحَمَّدٍ؟ الأعرافُ هُمْ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ الأعرافَ هو من أسماء عليٍّ؟ سورة الأعراف أَتَعْلَمُونَ ما معناها؟

والله معناها: (سورةُ عليٍّ وآلِ عليٍّ) هذا هو معناها، عند آلِ مُحَمَّدٍ معنى هذا العنوان (سورةُ الأعراف) هي سورةُ عليٍّ وآلِ عليٍّ، وأنا وَأَنْتُمْ والجميع يقولون: (المكتوب ينقري من عنوانه) يِقْرَأُ المكتوبُ من عنوانه، عنوانُ هذه المَسُورَةِ: (الأعراف) الأعرافُ عليٍّ، وستأتينا الروايات، هذه سورةُ عليٍّ، القرآنُ كُلُّهُ عليٍّ، حين قُلْتُ من أَنَّ ﴿المص﴾ المضمونُ هو هو الَّذي قاله سَيِّدُ الأوصياء في خُطْبَةِ البيان: ﴿كهيعص﴾ أنا عليٍّ هو كهيعص، عليٍّ هو ﴿المص﴾ فحروفُ القرآنِ عليٍّ، وآياتُ القرآنِ عليٍّ، والقرآنُ كُلُّهُ عليٍّ، في ظاهرِهِ الصامتِ يشيرُ إلى عليٍّ، أَمَّا في باطنِهِ الناطقِ فهو عليٍّ ولا شيء وراء ذلك.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ومن هو اسمُ الله؟ عليٍّ، من هو اسمُ الله؟ إِنَّنِي أَبْتَدِئُ بِسْمِ اللَّهِ، حتَّى لو ذهبنا إلى علم النحو، وأنا هنا لا أريد أَنْ أَتطَرَّقَ إلى مثل هذه المسائل، ولكن الحديث يجر الحديث، هذه الباء حرف جر، و"اسم" هنا مجرور، والجار والمجرور بحسبِ علم النحو يحتاجان إلى فعلٍ، يحتاجان إلى فعلٍ يتعلَّقان به، يحتاجان إلى عامل يرتبطان به، الجار والمجرور هُنا يتعلَّقان بفعلٍ مُقدَّرٍ، يعني إِنَّنِي أَبْدَأُ بِبِسْمِ اللَّهِ، أَفتَتَحُ هذه المَسُورَةَ بِبِسْمِ اللَّهِ.

من هو اسمُ الله؟ اسمُ الله الأعظم من هو؟ عليٍّ، وحين أشار في كلماتِهِ مِنْ أَنَّهُ النقطَةُ، كلُّ شيءٍ، كلُّ شيءٍ عليٍّ، (النقطَةُ، الباءُ، البسملة، المص، الأعرافُ بِكُلِّهَا، القرآنُ بِكُلِّهِ، الحقيقةُ بِكُلِّهَا، عليٍّ وآلِ عليٍّ، مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّدٍ) العناوينُ هي العناوين.

﴿المص﴾ رمز، إشارة إلى عنوان كبير يُشير من بعيد إلى خزانة عظيمة أحصى الله فيها كل شيء، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ علي هو الذي يقول: (أنا ذلك الإمام المبين الذي أحصى الله فيه كل شيء) إي والله أنت هو، حتى لو لم تقل يا سيد الأوصياء هذه الكلمة، نحن نعرفك، أنت هو، أنت الحقيقة الجامعة، وما هذه الرموز إلا إشارات تُشير إليك.

﴿كَتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الخطابات التي هي لسيد الأنبياء والخطابات التي وردت لآله الأطهار، هذه الخطابات جاءت بحسب قانون بينه لنا المعصومون: (نزل القرآن بإياك أعني وأسَمعي يا جارة) لأننا لا نستطيع أن نتصور حرجاً في صدر محمد، هل يمكن ذلك؟!!

﴿كَتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا الخطاب في بنيتة اللفظية لمحمد صلى عليه وآله، أما في مضمونه فهو للأمة.

﴿كَتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ -أي كتاب هذا؟ ألا تلاحظون أن قطيعه حدث في التعبير؟- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿المص﴾ هذه هي المبتدأ، "كتاب" خبر، كما أقول مثلاً: (البرهان كتاب) البرهان في تفسير القرآن، حين أقول البرهان في تفسير القرآن وأسكت، وبعد ذلك أقول: كتاب وصفه كذا وكذا، كتاب هذه إذا كانت مقطوعة عما قبلها سيبقى الكلام ناقصاً.

﴿المص﴾ ﴿كَتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ الحديث عن الحرج هنا، الحرج ما هو؟ الحرج هو الضيق، والضيق هنا لماذا إذا كان الكتاب قد جاءنا من جهة نحن لا نشك فيها؟! الضيق يأتي من عظم ما جاء من تفاصيل في هذا الكتاب.

﴿المص﴾ -هذه الخزانة الكبيرة التي تشتمل على كل الأسرار التي أُشير إلى عناوينها كما مر علينا قبل قليل في أمثلة وفي نماذج من كلماتهم الشريفة- ﴿كَتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المؤمنون هذه المضامين تكون ذكرى لهم، حين تقول الآية: ذكرى، هذا يعني أنهم يعرفونها، بينما المجموعة التي ذكرت قبل المؤمنين الآية تتحدث عن إنذار ﴿لَتُنذِرَ بِهِ﴾ لتنذر به، هذا الإنذار لمن؟ الإنذار هو إخبار عن شيء يتوقع أن يحدث، ولا يملك الذين يندرون بذلك الشيء علماً عن ذلك الشيء وإلا لا يقال له إنذار، فالإنذار هو إخبار، وإخبار على عجلة وبِقُوَّةٍ وشِدَّةٍ وبيان وسرعة، لماذا؟ لأن القوم الذين يندرون جاهلون بالذي سيحدث، فلابد من هزتهم كي يلتفتوا إلى هذا الإنذار، المؤمنون جاء التعبير في الآية أن هذا الأمر سيكون ذكرى لهم.

الحديث هنا عن مضمون عميق جداً، لأن السؤال سيأتي: هل أن المؤمنين على علم حقيقي بما في أسرار في هذه الخزانة، في خزانة ﴿المص﴾؟ إذا كنا نحن من المؤمنين فهل نملك علماً بذلك؟ لابد من وجود مجموعة هذه المجموعة مجموعة قليلة، ربما نجد لها مثلاً في كلمات أهل البيت حين يتحدثون عن سلمان، وأن سلمان حاز العلم الأول والعلم الآخر، العلم الأول والآخر موجود في هذه الخزانة، مرت علينا الرواية وهي تتحدث

عن هذا الرمز: ﴿عسق﴾ وأنَّ علم كُلِّ شيء في ﴿عسق﴾ قطعاً ما يتجلى لهؤلاء المؤمنين يكون بحسبهم، كل بحسبه.

﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنَذِرَ بِهِ﴾ نحن وغيرنا نُنذِرُ بهذه الحقائق، لأنَّه لا نملك علماً، ولكن سلمان وأمثال سلمان الذين لا وجودَ لهم في آيَّامنا هذه، يكون القرآن وتكون هذه الحقائق ذكراً لهم، لأنَّهم على علمٍ مسبقٍ بذلك، كيف وصل إليهم ذلك العلم المسبق؟ هذا موضوع آخر، إذا أردنا أن ندخل فيه قد يطول الكلام ويطول، والبيانات هنا بيانات إجمالية في معاني ودلالات هذه الآيات الكريمة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ المص ﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنَذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ والحرَج هو الضيق، ونحن لا نستطيع أن نتصور هذا المعنى في رسول الله صلى الله عليه وآله، لكن الآية تريد أن تقول لنا من أن المضامين والأسرار التي وراء هذا الإنذار لو علمتم بها لسببت لكم حرجاً في صدوركم، هذا الحرج ينشأ من عظم هذه المعلومات، وينشأ من عظم التكليف بها، وينشأ من عظم الآثار المترتبة على التبليغ بها والصدع بها.

لذا تأتي الآية التي بعدها: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الخطاب هنا ليس موجهاً لرسول الله أبداً، تلاحظون هذه الانتقال من الخطاب مع رسول الله، لأن الخطاب مع رسول الله كان في أجواء الغيب، في المضمون هو للأمة، لكن هذا المعنى لن ينسجم بشكل واضح وصريح إلا أن يكون الخطاب لرسول الله لأنَّه هو الذي يرتبط بالغيب ظاهراً وباطناً.

﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ هناك انقطاعات واضحة فيما بين الآيات القرآنية، وبعبارة أخرى إذا أردنا أن نطبق قواعد وحدة السياق على أي سورة من السور القرآنية سوف لن ننجح في ذلك، في بعض الأحيان في صفحة كاملة أو في صفحتين لن نجد وحدة سياق حتى بين سطور قلائل، وهذا هو الذي قاله المعصومون في حديثهم حينما بينوا لنا قواعد ومنهج التفسير فقالوا: (أبعدُ شيء عن عُقول الرجال تفسير القرآن، فإن الآية يكون أولها في شيء وأوسطها في شيء وآخرها في شيء) وهذا حديث عن هدم وحدة السياق حتى في الآية الواحدة، قطعاً أنا هنا لا أريد أن ألغي وحدة السياق في التعابير القرآنية، أبداً، ولكن هذا الأمر لابد أن يؤخذ بنظر الاعتبار بحسب القواعد التي بينت في كلماتهم الشريفة، وبحسب الواقع حينما نقرأ السور القرآنية فإن وحدة السياق تتقطع وتتقطع دائماً على طول القرآن من أوله إلى آخره، لا يعني أننا لا نجد وحدة سياق في بعض المقاطع القرآنية، نعم هناك وحدة سياق في بعض المقاطع القرآنية، ولكننا حتى في القصص القرآني في عديد من القصص القرآني نفتقد وحدة السياق في نفس القصة، إذا أردنا أن نكمل الصورة لابد من الرجوع إلى حديثهم الشريف، وهذه بينة أخرى واضحة صريحة: (لا يمكن التفكيك فيما بين الكتاب والعترة في جميع المقامات).

هناك حقيقة لابد من الإشارة إليها: أن الآيات القرآنية في بعض الأحيان تُمازج فيما بين يجري في هذا العالم وما يجري في ما وراء هذا العالم، إذا ما استمرّ النظر إلى هذه الآيات سنجد أن الآيات الكريمة ترسم لنا صورةً تتمازج فيها الصورة في هذا العالم مع صورة في عالم آخر، في عالم القيامة أو في عالم آخر.

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ هذا المضمون يتكرر دائماً، هناك ولاية لله وهناك ولاية لغيره، والقرآن من أوله إلى آخره يتحدث في الولاية هذه، حتى البراءة ما هي مطلوبة بنفسها على طول القرآن، البراءة واضحة جداً في آيات الكتاب الكريم، لكن البراءة في ثقافة الكتاب والعتره ما هي مطلوبة بنفسها، إنها مقدمة للولاية.

إذا ما ذهبنا إلى سورة الكهف، وفي الآية الرابعة والأربعين، هذه الآية تختصر لنا الحكاية، تختصر لنا الحقيقة، هي جواب لما جاء في أحاديثنا الشريفة: (رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا عَرَفَ مِنْ أَيْنَ وَإِلَى أَيْنَ) الجواب هنا في هذه الآية، هذه الآية الموجزة وهي الآية الرابعة والأربعون بعد البسملة من سورة الكهف: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ النهاية هي هذه ﴿هُنَالِكَ﴾ -وراء كُلِّ شيء- الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ لو رجعنا إلى الكافي الشريف وإلى غيره، إلى كتبنا الحديثية، الآية والله في علي، الأئمة يقولون: هذه الولاية هي ولاية علي ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرُ نَوَابٍ وَخَيْرُ عَقَبَاءٍ﴾ الجوهر هنا، العقبة هنا، النهاية هنا، حقيقة كُلِّ كينونة هنا ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ﴾ هذا هو منطق القرآن، القرآن بناؤه الهندسي العقائدي على هذا العنوان: (الولاية).

ولذا كلمة الإمام الرضا تختصر هذا المطلب، حديث سلسلة الذهب الإمام صوره لنا بصورتين لفظيتين: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حُصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حُصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي يَقُول- لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حُصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حُصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي)، (وَلَايَةُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حُصْنِي -الله يقول- فَمَنْ دَخَلَ حُصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي).

فالقرآن من أوله إلى آخره بناؤه الهندسي، حَجَرُ الزاوية فيه الولاية، جوهر وجوده الولاية، باطنه العميق وحتى ظاهره الأنيق الولاية، حدوده مطالعه مجاريه: الولاية، شؤونات الولاية، أليس للقرآن حدود وللقرآن مجاري ومطالع؟ هكذا هم حدّثونا، مطالع القرآن ومجاري القرآن وحدود القرآن، كُلُّ هذا الولاية، مُحْكَمَاتُ القرآن، حقائق القرآن، لطائف القرآن الولاية، فالبناء الفكري والحقوقي في كُلِّ القرآن من أوله إلى آخره الولاية، وهذا هو معنى (القرآن مع علي وعلي مع القرآن) هذا هو معنى كتاب صامت وكتاب ناطق، هذه هي الحقيقة التي تتجلى في كُلِّ جنبات عالم القرآن، في كُلِّ جهات الوجود القرآني.

ولذا فهذه الآية في هذا السياق: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ مَنْ الَّذِي أَوْصَلَ إِلَيْنَا مَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا؟ ماذا نقرأ في زيارة الصديقة الطاهرة ونحن نخطبها صلوات الله وسلامه عليها: (وَزَعَمْنَا أَنَا لَكَ أَوْلِيَاءَ وَمُصَدِّقُونَ وَصَابِرُونَ لِكُلِّ مَا أَتَانَا بِهِ أَبُوكِ وَأَتَى بِهِ وَصِيهِ) فما أنزل إلينا من ربنا من الذي أتانا به؟ أتانا به محمد وأتى به وصيه.

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ - هُنَاكَ جِهَةٌ: (جِهَةٌ مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ) وَهَنَاكَ جِهَاتٌ أُخْرَى - اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴿ لا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ، لَا تَتَّبِعُوا حَتَّى عُقُولَكُمْ إِذَا مَا أَرَادَتْ أَنْ تَشْتَغَلَ وَأَنْ تَتَحَرَّكَ خَارِجَ فَنَاءِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ، حَتَّى الْعُقُولُ هَذِهِ لَا تَتَّبِعُوهَا، لَيْسَ الْبَشَرُ، لَا تَتَّبِعُوا شَيْئًا خَارِجَ هَذَا الْفَنَاءِ، هُنَاكَ فَنَاءٌ، هُنَاكَ جِهَةٌ، مَا نَحْنُ دَخَلْنَا مِنْ هَذِهِ الْبَوَابَةِ، ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ هَذِهِ الْبَوَابَةُ مِفْتَاحُهَا عَلِيٌّ، اسْمُ اللَّهِ عَلِيٌّ، مِفْتَاحُ الْبِسْمَلَةِ النُّقْطَةُ، (وَأَنَا النُّقْطَةُ) الْمِفْتَاحُ عَلِيٌّ.

قَبْلَ قَلِيلٍ الْإِخْوَةُ الْأَعْزَاءُ عَرَضُوا حَدِيثَ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ: (ذُرُوءُ الْأَمْرِ وَسَنَامُهُ وَمِفْتَاحُهُ وَبَابُ الْأَشْيَاءِ - مِفْتَاحُ وَبَابٍ، عَلِيٌّ هُوَ الْبَابُ وَهُوَ الْمِفْتَاحُ، أَلَا تُلَاحِظُونَ التَّعَابِيرَ هِيَ هِيَ - ذُرُوءُ الْأَمْرِ - الْروَايَةُ هَذِهِ يَرْوِيهَا زُرَّارَةُ عَنْ بَاقِرِ الْعُلُومِ، حَدَّثَنَا بِهَا شَيْخُنَا الْكَلِينِي فِي الْكَافِي فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ - ذُرُوءُ الْأَمْرِ وَسَنَامُهُ وَمِفْتَاحُهُ وَبَابُ الْأَشْيَاءِ وَرِضَا الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الطَّاعَةُ لِلْإِمَامِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ).

فَالْبِسْمَلَةُ هِيَ بَابُ الْأَعْرَافِ،

الْأَعْرَافُ عَلِيٌّ،

وَبَسْمَلَتُهَا عَلِيٌّ،

وَمِفْتَاحُ هَذَا الْبَابِ النُّقْطَةُ وَالنُّقْطَةُ عَلِيٌّ.

عَبْدُ الْبَاقِي الْعَمْرِي فِي قَصِيدَتِهِ الْجَمِيلَةِ يُخَاطِبُ سَيِّدَ الْأَوْصِيَاءِ:

وَأَنْتَ أَنْتَ نَقْطَةُ بَاءٍ مَعَ تَوْحِيدِهَا بِهَا جَمِيعُ الَّذِي فِي الذِّكْرِ قَدْ جُمِعَ

مَعْنَى جَمِيلٍ وَإِنْ كَانَ سَطْحِيًّا أَيْضًا، نَحْنُ سَطْحِيَّوْنَ، هَذَا هُوَ الْمُسْتَوَى الْعَقْلِيُّ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ..

وَأَنْتَ أَنْتَ نَقْطَةُ بَاءٍ مَعَ تَوْحِيدِهَا بِهَا جَمِيعُ الَّذِي فِي الذِّكْرِ قَدْ جُمِعَ

مَا فَرَّقَ اللَّهُ شَيْئًا فِي خَلِيقَتِهِ مِنْ الْفَضَائِلِ إِلَّا عِنْدَكَ اجْتَمَعَ

وَهَذَا وَاللَّهُ دُونَ فَضْلِكَ يَا أَمِيرَ، وَلَكِنَّهُ شَعَرَ جَمِيلٍ، لَكِنَّهُ دُونَ فَضْلِكَ يَا أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ..

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * الْمَص * كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى

لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ * إِنَّكُمْ لَا تَتَذَكَّرُونَ،

هَذَا الْخُطَابُ لِمَنْ؟ هَذَا الْخُطَابُ لِلَّذِينَ أُنْذِرُوا، لَيْسَ لِلْمُؤْمِنِينَ، الْمُؤْمِنُونَ الْكَتَابَ الَّذِي أُنْزِلَ لَهُمْ ذِكْرَى:

﴿وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ نَحْنُ، نَحْنُ الَّذِينَ أُنْذِرُوا: ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ هَذِهِ الْحَقَائِقُ، تَذْهَبُونَ

بَعِيدًا، الَّذِي يَقُودُنَا بَعِيدًا مَا هُوَ؟

الَّذِي يَقُودُنَا بَعِيدًا:

- الجهل أولاً،
- الغفلة ثانياً،
- السفاهة ثالثاً،
- الشيطان رابعاً.

فما بين الجهل والغفلة، أيّ مركّب هذا، ما بين الجهل والغفلة وتأتي السفاهة، لأنّ الذي يعيش حالة الجهل وتتسلط عليه الغفلة فإنّه سيذهب في اتجاهات لا نفع فيها له لا في دُنياه ولا في آخرته، وتلك السفاهة، السفاهة هي هذه، ينشغل بالتوافه التي لا قيمة لها، يجعل من الأمور الصغيرة كبائر، والأمور العظيمة يصغرها، فشؤون عقيدته يضعها جانباً، وشؤون بطنه وفرجه يجعلها أمام عينيه دائماً، أليست هي هذه السفاهة أو لا؟ أن تكبر الصغائر وأن تُصغر العظام، هذه حكايتنا، هذه قصّة الدنيا وقصّة أبنائها: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ هذا هو حالنا، نجائنا عند آل محمّد، وإذا أردنا أن نفهم قرآنهم أن نمد أيدينا إليهم.

ختاماً أقول، وأقول دائماً أقول، وفي نهاية كلّ حلقة أقول:

بِآلِ مُحَمَّدٍ عُرِفَ الصَّوَابُ وَفِي أَبِيَاتِهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ

فهل بغيرهم يعرف الصواب؟! اعرفوا الصواب بآل محمّد..

في أمان الله..

وفي الختام:

لأبد من التنبيه إلى أننا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع القمر.

مع التحيات

المتابعة

القمر

1438هـ

2017 م

بَرْنَامَجُ قُرْآنُهُمْ... متوفر بالفيديو والأوديو على موقع القمر

www.alqamar.tv